السلاطين
في المشرق العربي
معالم دورهم السياسي والحضاري

المماليك
(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ - ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

يتضمن هذا الكتاب تسعة فصول، تتناول أبرز معالم الدور السياسي والحضاري الذي قام به سلاطين المماليك في المشرق العربي، وتحديداً في مصر والشام، طيلة ٢٦٧ سنة، تبدأ منذ سقوط السلطنة الأيوبية سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م، حتى سقوط السلطنة المملوكية سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م.

وكان قدر بعض هؤلاء السلاطين غير العرب، أن يحملوا راية العروبة لمتابعة المواجهة مع الصليبيين فاسترد الظاهر بيبرس إمارة أنطاكية سنة ٦٦٦ هـ/ ١٢٦٨ م، وحرَّر المنصور قلاون كونتية طرابلس سنة ٦٨٨ هـ/ ١٢٨٩ م، مما مهَّد للأشرف خليل تحرير عكا وبيروت، وتحقيق الجلاء الصليبي التام سنة ٦٩٠ هـ/ ١٢٩١ م.

كما قدِّر لهؤلاء السلاطين الثلاثة، أن ينزلوا أشد الضربات بالمغول الذين اجتاحوا بغداد سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م وبلاد الشام سنة ٦٥٧ هـ/ ١٢٥٩ م. وقد مهد لتلك الضربات السلطان المظفر قطز الذي حقق الانتصار الأول على المغول في عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠ م.

وتحقيقاً للهدف المنشود، كان لا بد من الحديث عن الدور الذي لعبه المماليك في مواجهة خطر تيمورلنك (٧٨٤ ـ ٨٠٨ هـ/ ١٣٨٢ ـ ١٤٠٥ م)، والدور الذي قام به أول من حمل لقب سلطان من العثمانيين وهو السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣ م، وذلك قبل اندلاع الحرب العثمانية ـ المملوكية بمرحلتيها الأولى والثانية، التي أدت إلى سقوط دولة المماليك أثر هزيمة مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦ م، والريدانية سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م.

ويعتبر هذا الكتاب بمثابة المرحلة الثانية من عصر السلاطين في المشرق العربي، وقد سبقه صدور المرحلة الأولى «السلاجقة ـ الأتابكة ـ الأيوبيون» (٤٤٧ ـ ٦٤٨ هـ/ ١٠٥٥ ـ ١٢٥٠ م).

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت ـ ص.ب ١١٠٧٤٩

السلاطين
في المشرق العربي
معالم دورهم السياسي والحضاري

المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ - ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

د. عصام محمد شبارو

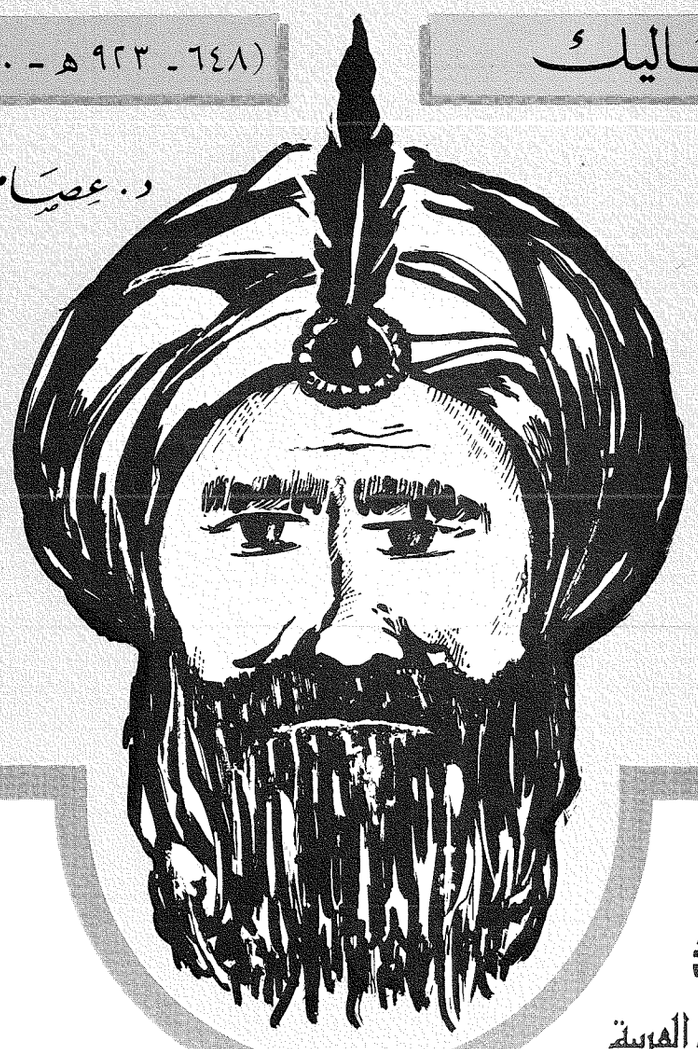

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت ـ ص.ب ١١٠٧٤٩

د. عصام محمد شبارو
السلاطين في المشرق العربي
المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ - ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

956.3
SEB.S
089756

10
Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Araştırmaları Merkezi

السلاطين
في المشرق العربي
المماليك

89756

السلاطين
في المشرق العربي

معالم دورهم السياسي والحضاري

المماليك
(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ - ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

د. عصام محمد شبارو

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت . ص.ب ١١٠٧١٩

حقوق الطبع محفوظة
١٩٩٤

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت . ص.ب ٧١٩-١١

* الإدارة: بيروت، شارع مدحت باشا، بناية كريدية، تلفون: 866271 818704 / 818705
برقياً: دا نهضة، ص. ب 749 ـ 11
تلفاكس: 232 ـ 4781 ـ 212 ـ 001

* المكتبة: شارع البستاني، بناية اسكندراني رقم 3، غربي الجامعة العربية، تلفون: 316202 / 818703

* المستودع: بئر حسن، تلفون: 833180

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بعد سقوط الدولة الأيوبية سنة ٦٤٨/ ١٢٥٠، انحصر الدور السياسي والحضاري في مصر وبلاد الشام، بسلاطين المماليك وحدهم، فقد قدر لبعض هؤلاء السلاطين غير العرب أن يحملوا راية العروبة لمتابعة حركة الجهاد ضد الصليبيين التي بدأها عماد الدين زنكي باسترداد الرها سنة ٥٣٩/ ١١٤٤، وصلاح الدين الأيوبي باسترداد بيت المقدس سنة ٥٨٣/ ١١٨٧. فتمكن ثلاثة من سلاطين المماليك من إنجاز المرحلة الأخيرة من الصراع مع الصليبيين، فاسترد الظاهر بيبرس إمارة انطاكية سنة ٦٦٦/ ١٢٦٨، وحرر المنصور قلاون كونتية طرابلس سنة ٦٨٨/ ١٢٨٩، مما مهد للأشرف خليل تحرير عكا وبيروت، وتحقيق الجلاء الصليبي التام سنة ٦٩٠/ ١٢٩١.

كما قدر لهؤلاء السلاطين المماليك الثلاثة أن ينزلوا أشد الضربات بخطر المغول الذين اجتاحوا بغداد سنة ٦٥٦/ ١٢٥٨ وبلاد الشام سنة ٦٥٧/ ١٢٥٩، وقد مهد لتلك الضربات السلطان المظفر قطز الذي يعود له الفضل في إنزال الضربة الأولى بالمغول في عين جالوت سنة ٦٥٨/ ١٢٦٠، ومع ذلك لم ينكفىء المغول إلا بعد فشل حملة غازان على بلاد الشام سنة ٧٠٣/ ١٣٠٣.

لذلك ارتأيت الحديث عن هذا الدور السياسي لهؤلاء السلاطين المماليك، في ستة فصول على أن يتضمن الأول، دور المماليك في إجلاء الصليبيين (٦٤٨ ـ ٦٩٠/ ١٢٥٠ ـ ١٢٩١). والثاني، غزو المغول وسقوط المدن العربية الثلاث بغداد، حلب ودمشق (٦٥٤ ـ ٦٥٨/ ١٢٥٦ ـ ١٢٦٠). والثالث، القضاء على أسطورة المغول (٦٥٨ ـ ٧٠٣/ ١٢٦٠ ـ ١٣٠٣).

والرابع، طيف الخطر الصليبي (٧٠٣ ـ ٧٨٤/ ١٣٠٣ ـ ١٣٨٢). والخامس، نشأة دولة المماليك الثانية ومواجهة خطر تيمورلنك (٧٨٤ ـ ٨٠٨/ ١٣٨٢ ـ ١٤٠٥). والسادس، المماليك وتحرير قبرص وغزو رودس (٨٢٧ ـ ٨٤٧/ ١٤٢٤ ـ ١٤٤٤).

كما ارتأيت وضع فصل سابع يبرز الدور السياسي لأول من حمل لقب سلطان من العثمانيين وهو السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية سنة ٨٥٧/ ٢٩ أيار ١٤٥٣، وفصل ثامن تدور أحداثه حول الحرب العثمانية ـ المملوكية (٨٩١ ـ ٩٢٣/ ١٤٨٦ ـ ١٥١٧)، وذلك بمرحلتيها الأولى والثانية، التي أدت إلى نهاية الدور الجهادي للسلاطين غير العرب، وذلك مع سقوط دولة المماليك الثانية سنة ٩٢٣/ ١٥١٧.

وكان لا بد من الحديث عن بعض ملامح النظم الحضارية زمن المماليك، لتوضيح الدور الحضاري الذي قاموا به طيلة ٢٦٧ سنة، لذلك أفردت الفصل التاسع لهذه الغاية.

وتسهيلاً للقارىء تتضمن الكتاب ثمانية ملاحق تتعلق ببعض الرسائل والكتب والمعاهدات التي عقدت في تلك الحقبة التاريخية، إضافة إلى ثلاثة ملاحق تحوي أسماء سلاطين المماليك، وسلاطين الخوارزمية وخانات المغول، فضلاً عن فهارس المصادر والمراجع والأعلام والأماكن والمعارك والخرائط.

وأرجو أن أكون قد وفقت فيما سعيت إليه.

بيروت عين المريسة

كانون الثاني ١٩٩٥.

عصام محمد شبارو

دولة المماليك الأولى وإجلاء الصليبيين
(٦٤٨ ـ ٦٩٠/ ١٢٥٠ ـ ١٢٩١)

بمقتل توران شاه على يد المماليك سنة ٦٤٨/ ١٢٥٠، انتهت دولة الأيوبيين فعلياً في مصر، وقامت دولة المماليك الأولى (٦٤٨ ـ ٧٨٤/ ١٢٥٠ ـ ١٣٨٢) التي استطاعت أن توحد مصر والشام كما في أيام صلاح الدين الأيوبي، وتنهي العمل الذي بدأه بإجلاء الصليبيين نهائياً عن المشرق العربي الإسلامي سنة ٦٩٠/ ١٢٩١.

١ ـ أصل المماليك:

يعود أصل المماليك إلى الرقيق الآسيوي الأبيض من الأتراك والجراكسة، وموطنه الأصلي بلاد القبجاق في حوض نهر الفولغا شمال البحر الأسود وفي القوقاز، حيث تعيش قبائل مختلفة من الأتراك والجراكسة والروس والمجر واللان. وكان تجار الرقيق يحصلون على هؤلاء المماليك عن طريق الأسر في الحروب أو الخطف من أهلهم الذين قد يضطرون أحياناً لبيع أبنائهم بسبب الفقر والجوع مقابل المال أو الغذاء.

وقد أكثر سلاطين الدولة الأيوبية، ثم دولة المماليك الأولى، من جلب المماليك الأتراك ثم الجراكسة لتدعيم القوة الحربية بعد تنشئتهم على الإسلام وتربيتهم على الفروسية والطاعة، حتى أصبح هؤلاء المماليك هم الأداة الحربية الوحيدة في دولتي المماليك الأولى والثانية في مصر والشام.

وكان الصالح أيوب (٦٣٨ ـ ٦٤٧/ ١٢٤٠ ـ ١٢٤٩) قد أكثر بدوره من شراء المماليك الأتراك، فأصبح معظم الجيش يتألف منهم، مما أحدث خللاً